يعلم أنه يتحدث مع كاتب يعمل في مجلة « أوغونيوك » ، وأنا بدوري أنقل للقراء بكل دقة كل ما قيل لي ، وما شاهدته وسمعته .

من الصعب حقا .. أن تكون قاصا .. وأن تكون عديم الاحساس عندما تنظر اليك دالي .. الطفلة الصغيرة التي بلغت من العمر اثنى عشر عاما بعينيهـــا الجزعتـــين المنطفئتين ، وياشي شاميلا شفيلي ـــ سبعة عشر عاما ـــ بنفس تلك العينين . لقد غادرا اسرائيل بلا أمهما التي جاءت بهما من سوخومي . ففي تاريخ ٩ ابريل عـــام ١٩٧٣ قطعت ميديكو شاميلا شفيلي شريانها .. ثم شنقت نفسها . لقد يتمت ولديها بهذا العمل . ان دالي ذات العينين الكبيرتين .. لم تشك .. بأن دموع أمها الجامحة .. قد أصبحت اخر القطرات لديها .. وبعدها فاض بها كأس الصبر .

كانت دالي تبكي .. لقد فرت من المدرسة وقالت لامها : « لن أعود للمدرسة بـــأي حال » . لم تحتمل دالي احتقارات المدرّسة الدنيئة التي اكدت بحزن منافق مفتعـــل بأنها شديدة الاسف لان كافة اليهود الجورجيين قاصرون . وبطاعة عمياء ايد المدرسة زملاء دالي في الدراسة ، وهم من المجتهدين ومن ذوي الاخلاق الحميدة الذين ينتمون الى عائلات « سابروف » القديمة والمميزة .

وبمثل تلك الطريقة استقبل في مدينة اشكلون يوري كوفريغار (عمره خمسة عشر عاما) . لقد كان ينتظر يوري في أوكراينا مستقبل كبير في مجال الرياضيات ، وكان من المتوقع ارساله الى مدرسة خاصة . أما في مدينة أشكلون فلقد علم الصهاينة الشبان بكل ازدراء ان يوري ينتمي الى مجموعة « الكفار وغير المطهرين » ، ونشروا هـــذا الخبر في انحاء المدينة كلها . أنذر المدرسون والدي يوري بأنهم لا يحتملون وجـــود غير مطهرين في مدرستهم .

ـــ من الصعب .. طبعا ، ان لا يستسلم الانسان لعواطفه عندما يندفـــع نحـــوه فيضان الدموع .. ومع ذلك فسوف أتماسك وسأحافظ على أن أكون مندوبا صحفيا .. مسجلا .. ووثائقيا . وهكذا تتكلم الحقائق فقط .. والارقام فقط .. والوثـــائق فقط التي تختفي وراءها المصائر الحقيقية للناس الذين ظلموا أنفسهم عندما هاجروا الى الغربة .

وللحقيقة ، فان الكثيرين منهم لا يفهمون .. ولا يريدون ان يفهموا جوهر المأساة التي ينطوي عليه معنى التخلي عن الجنسية السوفييتية . وعلى مسمعي دار ذلـــك الحوار بين اثنين من الفارين من اسرائيل وهما طبيبان :

ـــ « اني لا أستطيع ان اصدق ـــ صرخ بغضب الطبيب الاصغر سنا ـــ ، لقـــد سألوني عند وصولي الى مطار اللد :

ـــ منذ متى أصبحت ملحدا ..؟

ـــ يا أسفاه ! ـــ أجاب الطبيب الذي يكبره ـــ نحن نستحق ذلك . ـــ فمـــاذا تعني الكلمة الانجليزية « ديسيدينت » ..؟ انها تعني متخلي . ونحن تخلينا عن الوطـــن العزيز .. تخلينا عن الشعب الذي ترعرعنا .. وتعلمنا .. وعملنا معه .

ـــ فلماذا نستغرب اذا ..؟ لانهم في اسرائيل راوا فينا ملحدين !

ـــ « ومع ذلك لا أحد يملك الحق في أن يتهمني بالالحاد ـــ بصراحة اكد الطبيـــب الشاب ـــ وخصوصا بعد ان ندمت ! »

ـــ استمعت اليه .. وفكرت : يبدو ان هذا الشاب لم يفهم ، ان الاصل ليس في المصطلح ، وانما في التخلي عن الوطن !